

حول مؤتمر الآثار بدمشق

للأستاذ مصطفى كامل إبراهيم

لعل من أهم الخطوات الثقافية الموفقة التي كانت باكورة نشاط اللجنة الثقافية بجامعة الأمم العربية هي عقد مؤتمر الثقافة والآثار .

ومؤتمرات الثقافة ليست جديدة على العالم العربي فقد كانت في الجاهلية تنظم في أسواق الحزبة العربية ، ثم كان الخلفاء والأمراء والولاة يقيمون شيئاً مثلها في بلاطهم وتحت رعايتهم ، يجتمع فيها مشهورو أصحاب الأقاليم وأمراء الشر والملم والتمن من بلدان العالم الإسلامي ، وطالما اشترك الخلفاء أنفسهم في النقاش وتدوروا لذهنه ..

على أن دراسة الآثار القديمة لم تكن لهم القوم كثيراً في الإسلام فقد كان يخشى التحدث في مدينيات الفراعنة أو الأكاسرة أن ينهم بالمروق ، أو أن يمد منافسوه إلى أن يلصقوا به جريمة الإلحاد أو الردة أو الزندقة . وقد كانت الأخيرة في فترة ما من حكم العباسيين جريمة تدني رتبة صاحبها من سيف الجلاد ، مما صرف علماء المسلمين على الدراسة التفصيلية في تراث الوثنيين في مصر ، والمجوس بفارس ، والمسيحيين في مصر والشام .

ثم كان لا بد لهذا الإهمال من نتائج : فقد امتدت أيدي العبث والتدمير والسطو والتبديد إلى تراث القدماء ، واستمرت هذه

وفقاً لمشيئته والصلوات كلهم سواء في ابتناء مرضاته ... ثم التشريع لا يحتل المكان الأول في النظام السياسي الإسلامي لأن الإسلام في نفسه شريعة كاملة أما أمر التفريع والاستنباط بالنظر إلى الأحوال المتجددة فهو موكول إلى نزعه وليس لكل ذي حجة أن يصوت في كل ما يعنيه أو ما لا يعنيه وصفاً القول أن الجمهورية في الإسلام ليست كالديمقراطية في الغرب التي مدارها ، بعبارة حكيم الشرق الدكتور محمد إقبال رحمه الله على « تعداد الناس لا على وزنهم » ...

السيد محمد يوسف الهنري

الحال المؤلة إلى آخر الزمان ، فلم يتردد بدر الجالي — مثلاً — وزير المستنصر الفاطمي في سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧) م من أن يستخدم بعض أحجار جبانة الجيزة من حول الأهرام لبناء استحكاماته ولا زالت أحجار الموردين بابي النصر والفتوح تحمل رسوماً وكتابات هيرغليفية . وفي العصر التركي تمكن عثمان كتحدا (الكخيا) من الحصول على قطعة من الحجر « الدويريت » الأخضر مما خلفه قدماء المصريين فاستعملها عتبة لمسجده في ميدان « الأوبرا » . وليس أعجب من أن تتواتر الشائعات في سنة ١٩٤٧ — نرجو أن تكون كاذبة — عن فكرة صهر ذهب « نوت عتخ آمون » لتغطية النقد المصري ، وما هو بكاف ولا بمشيرة أمثاله .

والشيء الذي لا شك فيه ، هو أن العرب في وسط الجزيرة سكنوا وادياً غير ذي زرع أحاطت بهم بيئة خالية من الخير ورغد العيش والاستقرار ، فنشأوا نشأة خشنة وعاشوا خلوا من شارات الفن ومخايل المدينة ، لعدم حاجتهم إليها — والحاجة تقتق الحيلة — أو لانصرافهم إلى النضال في سبيل العيش والقتال القبلي . ولما جاء الإسلام بخبره وبركته وأخرج العرب من الظلمات إلى النور ، صرف القوم إلى الفتح وتوطيد دعائم الدين الحنيف ، فلم يذق العرب حلاوة الاستقرار الحقيقي والانصراف إلى التعمير الفني إلا أبان حكم دولة بني أمية ، حيث رأوا لزماً عليهم أن يأخذوا بأسباب الدنيات التي ألفوها أمامهم في الأمم المغزوة ، فبدأ الفن يلتصق في جبين الإسلام .

وها هي دمشق الحبيبة التي أشرق من جنباتها القيس الأول من نور الفن الإسلامي فأضاء الشرق والغرب ، وخلق أصولاً وقواعد ترسم التريون خطاها ونسجوا على منوالها لا يتركونها إلا ليمودوا إليها حتى يومنا هذا . ها هي دمشق تحتضن مؤتمر الآثار العربي وتحله أجمل قصورها « قصر العظم » ، تحت رعاية نفاة رئيس الجمهورية السورية الذي أضفى على المؤتمر عنايته مما كان سبباً قوياً في نجاحه .

ويجدر بنا أن ننوه بجهود التنظيم وهم نخبة من أساندة الآثار المبرزين وعلى رأسهم الدكتور زكي محمد حسن ، والدكتور أحمد بدوي . أما حضرات الندويين فقد حاضروا في موضوعات شيقة عن تراث العرب نرجو أن يتم طبعها قريباً ليفيد منها العالم العربي

مرور الدابر الكريم ولا شك بأن نشر الثقافة الأثرية على هذا الوجه يتيح فرصاً عظيمة لتوثيق وروابط الألفة بين أبناء المروبة في مختلف الأقطار ، وسرعان ما يصبح الوطن العربي الكبير حقيقة ماثلة في قلب كل عربي

والآثار فضلاً عن أنها كنوز مادية . وتراث قوى بميد ذكرى أيام المجد وعظمة الماضي فهي خير حافظ لهمة الجيل الجديد ، تنفخ فيه من روح السمو والعزة الوطنية ما يجعله يعمل جاهداً لاسترداد مجد الأيام السالفة وعظمة الأجداد .

وقد أسهمت مصر بكثير من أبنائها في هذا المؤتمر فكان هناك مندوبون عن الحامتين وبعض الهيئات . إلا أننا لم نر من بشكلم باسم إدارة حفظ الآثار العربية وهي التي تقوم بالحفظ والترميم والصيانة بالآثار الإسلامية ، ليس في مصر فحسب بل في بعض الأمم العربية الأخرى وهو عمل خطير الشأن يتركز على العلم والدراية ، وكذلك معهد الآثار بالجيزة فلم يشترك أحد من طلبته في نشاط المؤتمر .

أما شمال أفريقيا فلها المذر وكفاها ما بها وأعانها الله على ما رزنت به من بلية الاستعمار ، التي جمع عليها القحط والبني والاضطهاد

وبعد ... فإننا نرجو مخلصين أن توضع قرارات المؤتمر موضع التنفيذ ، حتى إذا جاء موعد انعقاد المؤتمر التالي ، وقد اتفق عليه أن يكون بالقاهرة ، وجد المؤتمر أمامهم ثمرات ما عملوا فينصرفون إلى الاستزادة ، والله يجزي العاملين .

مصطفى طامل إبراهيم

القاهرة

وكيل اتحاد الثقافة الأثرية

التواق إلى هذه العلوم التي ظلت رديحاً من الزمن وفقاً على المهتمين من علماء الأجانب ، يكتبونها بلقلمهم وكما تليه عليهم أهواؤهم أما فقهاء الآثار من العرب فقد كانوا — ساعهم الله — لا يكتبون إلا بلغة من اللغات « الحية » . أما العربية فكانت لا تحظى منهم إلا بجهد ضئيل .

أما المرض الفريد الذي أقامه الأستاذ حسن عبد الوهاب بصورة — وهي كلها من روائع فنه — فقد أخرج بها زوايا مفصلة هامة الآثار الإسلامية أبرزتها في غاية من الفخامة والجلال .

ومما يثلج صدورنا نحن العرب أن نرى اليمن الشقيق يطرح اليوم سياسة العزلة والانطواء على النفس وأن نرى عاهله العظيم ، جلالة الإمام يحيى حميد الدين ، يدفع بيلاده الرقيقة في نيار النشاط الدولي ، فيضم جهد اليمن إلى جهود شقيقائه فيشتد ساعد العرب وتقوى الأسرة العربية ، وما هو نجمله سمو الأمير سيف الإسلام عبد الله وساعده الأيمن الأستاذ العالم السيد علي ، نزيل القاهرة الآن ، دائي النشاط فيها يفيد العرب ومما يذكر لجلالته بالثناء أنه سمح ، لأول مرة ، لعالم عربي هو الأستاذ غفرى بزيارة « مارب » (مدينة سبأ) وطن الملكة « بلقيس » وتصوير آثارها والكتابة عنها .

وللعرب اليوم أن يطمشوا على تراثهم القوي في الوطن الكبير ، وقد أصبحت أمانة الآثار ، والمجد لله ، معظمها في أيدي الممارنين بها من أبناء المروبة ، يرون فيها العزة القومية ويضنون على تراث الأجداد ، وكنوزهم أن تذهب هباء ، أو تتسرب التحف النادرة إلى متاحف الأمم الأخرى ... يلقفونها تلقف القناسة من زواحف الأجانب وتجار السروقات ، ممن حذقوا في التلصص وأجادوا صناعة التهريب ، فتذهب في غفلة من العرب في عصور الاضمحلال السياسي — وهو أصل البلاء — والجهل بقيم الأشياء . ولما كانت دراسة التاريخ تعتمد اعتماداً كبيراً على دراسة الآثار ، فإن الزوايا تظل حائرة قلقة غير مستقرة ، نهال عليها الطاعن ، وحتى يقرها ويؤيدها السند الأثري ، فقد أقر المؤتمر نشر الثقافة الأثرية بين أبناء الوطن العربي ، وإقامة المتاحف ، وتبادل الأساتذة والقاء المحاضرات ، وعرض الصور ، مما يساعد العرب على استيعاب هذه العلوم القديمة الحديثة فلا يمر بها

اطلب نسختك

من الطبعة الجديدة من كتاب

تاريخ الأدب العربي

يطلب في فلسطين من مكتبة الطاهر إخوان يافا